

أما عائشة ملكة العفاف رضي الله عنها

The Mother of Believers: 'Ā'ishah, the Queen of Chastity

د. مسعود احمد السندي*

ABSTRACT

This research aims to explore various features of Syyidah 'Ā'ishah (رضي الله عنها)'s noble personage. This paper highlights some distinguished aspects of her biographical account, her extraordinary intelligence, eminent rank amongst other wives of the Prophet Muḥammad (ﷺ), excellence over women of the world and being mentioned in the Qur'ān for her praiseworthy character.

The scholarly areas, in which, she outshone others in Islamic intellectual heritage, include the Quranic exegesis, Ḥadīth narratives, jurisprudence, scholastic reasoning: analysis of jurisprudential methodology and principles of deduction of rulings and opinions. She adopted multifarious modes in this regards including explicit, direct, generalized, inductive and analogous approaches in the Islamic intellectual scholarship.

The grandeur of Ā'ishah (رضي الله عنها) was acknowledged by the companions of the Prophet, her scholarly point of view in conciliation of the problems of the Qur'ān and Ḥadīth made her stand out amongst all. She was a keen researcher, peaceful preacher and the greatest scholar of Islām of all times. Her knowledge and command over religious and social matters made her one of the most reliable experts of the Qur'ān, Ḥadīth and Fiqh. Such was her stature as the archangel Jibrā'īl presented his salutation to her.

Keywords: *Quranic Exegesis, Qur'ān; Ḥadīth; Fiqh; Conciliation between the Qur'ān and Ḥadīth; Scholarly Opinion*

* أستاذ مساعد بقسم الحديث وعلومه ، الجامعة الإسلامية العالمية - إسلام آباد

الحمد لله ، نحمده و نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:

فيقول الله عزوجل في محكم تنزيله ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١)

إن الله سبحانه وتعالى يبين لنا في هذه الآية الكريمة مخبرا عن نبيه ﷺ (والذين معه) من الصحابة والصحابيات رضي الله عنهم أنهم بأكمل الصفات، وأجل الأحوال. (رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)، أي: يتحابون، يتراحمون، يتعاطفون، كالجسد الواحد، يجب لهم ما يجب لذاته، هذه دايم مع البرية. وأما معاملتهم مع رب البرية فإنك (تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا) أي نعتهم بكثرة الصلاة، التي أعظم أركانها، الركوع والسجود.^(٢)

فهكذا كانت الصحابة رضي الله عنهم بقايا من الرسل يرشدون من انحرف إلى الدرب الصحيح ويتحملون علي المصائب. وهكذا بلى الله تعالى رسوله محمدا ﷺ في أحب نسائه إليه الصديقة عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك، إذ سار المنافقون والمردفون في المدينة بخبر حادثة الإفك أيما كان، حتي برء ها الله سبحانه وتعالى في كتابه العظيم! ثم جاء من بعد المنافقون والزنادقة والملحدون والرافضيون بسنة النبي محمد ﷺ وصحابته رضي الله عنهم يقولون على السيدة عائشة، الكذب والزور، ويرمونهابالأباطيل وأحاديث الزور.

المبحث الأول: نبذة مختصرة عن نشأة السيدة عائشة الصديقة

● اسمها وكنيتها

اسمها التي عرفت به: عائشة بنت أبي بكر الصديق عبدالله ابن أبي قحافة عثمان ابن عامر القرشية التيمية. (٣)

● كنيتهما: ثبت في السنة أنها طلبت من النبي ﷺ أن تكتني، فقا: أكتني بابنك عبدالله يعني ابن أختها أسماء (عبدالله بن الزبير) فكانت تكتني بأب عبدالله. (٤)

● ولادتها: ولدت عائشة في الصدق والإيمان في مكة السنة السادسة أو الخامسة من بدء البعثة النبوية فقد صح عنها انها قالت فيما معناه: ((نكحني خليل الله وانا غليمة لست ودخل بي وأنا طفيلة في التاسعة)) (٥)، والمشهور أنه ﷺ دخل بها في شوال (٦) بعد حادثة بدر في السنة الثانية من الهجرة، وهي أصغر من فاطمة بثماني سنين. (٧)

● طفولتها وصبها :

كانت السيدة عائشة رضي الله عنها في بكارة عمرها تتمتع بالمرح واللعب مع صاحباتها، وقد حدثت السيدة كيف انتقلت من فوق الأرحوحة إلى بيت الزوجية: "فاجئتني أم رومان، ومعني صاحباتي، فصخت بي فاتيتها، ولا أدري ما تريد بي فمسكت بيدي فاوقفتني على عتبة الباب، فقلت: هه هه حتى ذهبت نفسي فادخلتني دارا، فاذا نساء من الأنصار، فقلن: على البركة والخير وعلى خير طائر" (٨) وبسبب صغر سنها حكى قائلة عندما حصنت كنت اتشاغب مع صواحباتي لي وهي تحكى فتقول: ((كنت ألعب بالبنات وأنا عند رسول الله فكان يسرب إلي صواحباتي يلاعبيني)) (٩)، وقالت أيضا ((دخل علي رسول الله وأنا لعل بالبنات)) (١٠) ولذا قالت: ((اعتبروا قدر الفتاة الحديثة السن تسمع للهو.)) (١١).

زواج النبي ﷺ منها

وأول مراحل هذا الزواج المبارك كانت وحيًا من الله سبحانه وتعالى أخبر عن هذا رسول الله حين قال لعائشة: فيما معنا ((أريتك في الرؤية ثلاث، جائي بك الملك فيقول: هذه زوجتك، فاكشف عنها فاذا أنت ، فأقول: إن يك من عند الله يمضه)) (١٢) وفي حديث حميراء أن جبريل أتى بشكلها في مزقة حريرخضراء إلى أبي القاسم ﷺ فقال: ((هذه زوجتك في الدنيا والاخرة.)) (١٣)

وبعد موت زوجته الأولى أمضى الله هذا الزواج المبارك فتم بمكة قبل الهجرة بسنتين وقيل بثلاث، وهل تزوجها قبل سودة بنت زمعة ام بعدها فيه اختلاف والأقرب الى الصواب أنه تزوجها قبل سودة بنت زمعة، وذلك لحديث عائشة، قالت: "مارأيت امرأة احب الي ان اكون في مسلاحتها من سودة بنت زمعة ...". وفي رواية قالت: " وكانت أول امرأة تزوجها بعدي" (١٤) وبنى بها بالمدينة المنورة وهي بنت تسع في شوال منصرفه من بدر في السنة الثانية، وقيل في الثالثة من الهجرة واقامت في صحبته ﷺ تسع سنوات الاسبعة وتوفي عليه الصلاة والسلام وهي لم تكمل ثماني عشرة .

فضائلها رضي الله عنها

خص الله السيدة عائشة رضي الله عنها بكثير من الفضائل والمزايا حتى نالت عند رسول الله المنزلة الرفيعة، وأذكر فيما يلي بعض فضائلها. ومن فضائلها رضي الله عنها أنه يجب محبتها علي كل مسلم لما ثبت في الحديث الصحيح لما جاءت فاطمة عليها من الله الرضوان إلى الخليل رضي الله عنه ((قال لها: الست تودين ما اود؟ اجابت بنعم، قال: فاحي هذه يعنى الصديقة)) (١٥)، قوله {فاحي} صيغة امر، وصيغة الأمر عند الأصوليين تقتضي الوجوب إذا تخلت عن القرائن الصارفة عن الوجوب إلى الإستحباب فدل الحديث على وجوب محبتها ومما يدل على شدة محبة النبي ﷺ إياها انه كان احيانا يناديها ب {يا عائش} على

الترخيم^(١٦)، ويكفى في فضلها أنها بنت الصديق أعز أصحاب النبي ﷺ في الجاهلية والإسلام وكثيراً ما كان ﷺ يناديها: يا بنت الصديق، يا بنت أبي بكر^(١٧)، وفي بعض الأحاديث نوه بجبها لكونها بنت أبي بكر كقوله ﷺ: إنها ابنة أبي بكر".^(١٨)

ومن فضائلها ومزاياها أنها من أحسن نساء البرية، لحديث أنس رضي الله عنه «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»^(١٩) {الثريد} يكون من اللحم والخبز وكان أفضل الطعام عند العرب، كيف لا تكون السيدة عائشة أفضل نساء الأرض وهي حبيبة حبيب الله ﷺ، كان ياتيه الوحي وهو في ردها دون غيره، ومن فضائلها أنه ﷺ كما قال رسول الله ﷺ: ((يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة...))^(٢٠)

وفي الحديث النبوي دلالة واضحة أن السيدة عائشة رضي الله عنها قد تبوّأت في قلب النبي ﷺ منزلة رفيعة في المحبة لم يصل إليها غيرها من أمهات المؤمنين، وعرف الصحابة هذه المنزلة، فأقروا لها بها، ففي تنمة الحديث المذكور أنهم كانوا ينتظرون يوم عائشة ليقدموا للنبي هداياهم وهو عندها حتى أثار ذلك غيرة أمهات المؤمنين فاجتمعن إلى أم سلمة وقلن: يا أم سلمة والله إن القوم يتحرّون بعطاياهم نوبة عائشة، وإنا نشاء الخير كما تريد عائشة، فاقترحي رسول الله أن يأمر الناس أن يهبوا إليه حيث ما كان، أو حيث ما هو، فذكرت ذلك أم سلمة لابي ابراهيم قالت: فأعرض عني... فلما كان في الثالثة قال النبي ((يا أم سلمة لا تؤذيني أن جبريل عليه السلام أقرأها السلام)).

ومن فضائلها كما ثبت عن أبي سلمة رضي الله عنه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها: «إن جبريل يقرأ عليك السلام» ترى ما لا أرى {^(٢١)}.
 من فضائلها ومناقبها العظيمة أن الله انزل آيات تتلى، في المحارب

والصلوات، عندما اتهمت بالإفك فأنزل الله براءتها في (١١-٢٠ الايات) سورة

النور وصفت فيها بأنها من الطيبات من فضائلها ومناقبها العظيمة أنها البكر الوحيدة التي تزوجها النبي ﷺ وأصغر أمهات المؤمنين سناً، وقد كانت تفتخر بهذا وتدل أحياناً به أدلال الحبيب أمام النبي ﷺ فتمثل له بواد، والمرتع فيقول: "في الذي لم يرتع منها". فهي رضيها تعني أن النبي ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها. (٢٢)

ومن فضائلها ومناقبها السامية، ذوقها الرفيع وأدبها البديع وفصاحة لسانها وعلو بيانها، حيث كانت في حديثها مع النبي ﷺ تزداد ذوقاً وأدباً وبياناً، انظر مثلاً جوابها النفيس للنبي ﷺ عندما قال لها في حديث أم زرع ((كنت لك كأبي زرع لام زرع...)) قالت السيدة: يارسول الله بل أنت خير من أبي زرع. (٢٣)

وتأمل حسن منطقتها وعلو ذوقها في الحديث التالي: والله يارسول الله ما أهرج ألا اسمك (٢٤)، لذلك كان النبي ﷺ يجب محادثتها حتى في السفر، فإذا كان بالليل سارمع عائشة يتحدث (٢٥)، فالسيدة عائشة رضي الله عنها قد نالت شرف خدمة النبي ﷺ في أيام حياته الأخيرة، فما إن شعر ﷺ بالمرض حتى أخذ يسأل: ((أين أنا غدا...؟))

أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه يقول «أين أنا غدا أين أنا غدا» يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها، قالت عائشة فمات في اليوم الذي كان يدور على فيه في بيتي، فقبضه الله وإن رأسه لبين نحري وسحري، وخالط ريقه ريقى.. (٢٦)

علمها وتعليمها:

من الصفات البارزة للسيدة عائشة هو العلم بحيث أنها كانت مرجعاً فاصلاً لأصحاب النبي ﷺ حيث قال أبو موسى الأشعري ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً. (٢٧) قيل للإمام مسروق بن الأجدع: هل كانت عائشة تجيد علم الميراث؟ قال: أي والله ولقد رأيت كبار أصحاب محمد ﷺ يستفهمونها الفرائض. (٢٨)

وحين يصعب على أهل البلاد أمر من أمور الدين، يرسلون الصحابة في الحجاز، يريدون حكم الله فيه، فكان مقام السيدة عائشة بينهم مقام الأستاذ من تلاميذهم، فكان عمر يحيل عليها كل ما يتعلق بأحكام المرأة، أو بأحوال البيت، لا يصارعها في هذا الاختصاص أحد على الإطلاق، قال الإمام ابن شهاب: لو جمع علم الناس كلهم ثم علم أزواج النبي ﷺ لكانت عائشة أوسعهم علماً. (٢٩)

وقد قال عنها عروة بن الزبير ((مَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ أَعْلَمَ بِالْقُرْآنِ وَلَا بِفَرِيضَةٍ وَلَا بِحَلَالٍ وَلَا بِحَرَامٍ وَلَا بِشَعْرٍ وَلَا بِحَدِيثِ الْعَرَبِ وَلَا بِنَسَبٍ مِنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)). (٣٠).

ثمة عدة عوامل مكنت السيدة أن تتبوأ هذه المكانة العلمية الرفيعة من أهم هذه العوامل، كما يلي:

- ذكائها الحاد و ذاكرتها: وحسبك لهذا الأمر دليلاً كثيراً ما روي عنهما من الأحاديث و الأمثال والأشعار التي كانت مستشهداً في مناسبات تعرض لها.

- زواجها في سن مبكر من النبي ﷺ، ونشأتها في بيت النبوة، وحياتها في كنفه ورعايته ﷺ خلال هذه المدة حفيماً بها، كثير الإهتمام بتعليمها وارشادها.

- الاكثار من الوحي في حجرتها، وهذا وبما فضلت بلسانها السؤال، فقل أن تسمع شيئاً تستشكله أو ترى أمراً لا تعرفه إلا وتسأل مستفسرة عنه واشتهرت السيدة عائشة بذلك. (٣١)

والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

((قال النبي ﷺ: "من حوسب عذب" قالت عائشة: فقلت: أوليس الله يقول: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (٣٢) فقال: إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك)). (٣٣)

المبحث الثالث

هذا ونشير بالاختصار إلى بعض المجالات التي تبرز شخصيتها العلمية وتفوقها على الصحابة رضي الله عنهم ومن هذه المجالات

١ - أنها مفسرة كتاب رب العالمين

كانت السيدة عائشة رضي الله عنها أحد أعلام التفسير من أصحاب النبي ﷺ، حيث انما منذ الطفولة المبكرة، وهي تسمع القرآن من فم الصديق، وكان كثير التلاوة للقرآن الكريم كما ان ذاكرتها وفطانتها هذا هو سبب آخر، اذ تقول لقد أنزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب ﴿بِلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ﴾ (٣٤). ما أنزل النساء والبقرة الاو أنا عنده، ولما انتقلت الى بيت النبوة شهدت كثيراً من أسباب نزول الوحي على رسول الله، و كثيراً ما كانت (رضي الله عنها) تسأل عن معاني القرآن الكريم و الي ماتشير اليه بعض الآيات. فجمعت بذلك شرف تلقي القرآن ومعانيه من النبي ﷺ فور نزوله. وقد جمعت (رضي الله عنها) إلى جانب ذلك كل ما يحتاجه المفسر من اللغة، تقول السيدة: سألت رسول الله عن قوله عزوجل: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ (٣٥). فأين يكون الناس يومئذ يارسول الله ﷺ؟ ((فقال: (على الصراط)) (٣٦)، وفي موقف آخر يتضح لنا السيدة عائشة كانت تحرص على إظهار ارتباط آيات القرآن ببعضها ببعض، فتزد الآيات إلى آيات أخرى وتفسر القرآن بالقرآن.

وبهذا رسمت السيدة لكل من أتى بعدها أمثل الطرق وأقربها لتفسير القرآن الكريم وفهمه.

٢: أنها محدثة وحافظة السنة النبوية.

هذه من أبرز الصفات العلمية للسيدة عائشة رضي الله عنها على الاطلاق، فهي تعد من كبار حفاظ السنة المطهرة، فالعلماء من المحدثين الذين قسموا رواة الحديث

من الصحابة على طبقات من حيث كثرة الرواية وقتها جعلوا السيدة عائشة في الرتبة الخامسة وقد روي عنها ألفان ومائتان وعشرة حديثاً. (٣٧) .

وتمتاز السيدة عائشة رضي الله عنها عن الصحابة رضي الله عنهم بأن جل الروايات المروية عنها مسموعة من النبي ﷺ أما غيرها من رواة الحديث فقد رووا أغلبها بالواسطة، وقل أن روت السيدة بالواسطة فهي تعد من أكثر اصحاب النبي تلقياً من النبي ﷺ ولذلك استقلت برواية المرويات الكثيرة عن النبي ﷺ لم يروها عنه غيرها، بينما وجد الاشتراك في رواية أحاديث كثيرة عنه ﷺ، ففي مسانيدهم تجد أحاديث كثيرة مشتركة، بينما تجد مسند السيدة عائشة رضي الله عنها مليئاً بالأحاديث التي لا توجد في غيره إلا إذا رويت عنها، وهذه الميزة تبين لنا فضل بنت الصديق في نقل السنن النبوة وتبليغها الي الامة، ولولا السيدة عائشة بعد الله تعالى لعدم قسم كبير من سنة النبي ﷺ ولا سيما السنن الفعلية، وتكاد الأحاديث التي وصفت السيدة عائشة بها سنته الفعلية تغلب على الأحاديث التي روت السيدة عائشة بما أقواله عليه الصلاة والسلام.

وكانت رضي الله عنها مما ظهر من تعاملها مع النصوص انما تهتم بالفاظ النوية كما وردت ترى وجوب المحافظة على ألفاظ الحديث كما هي، يدل علي ذلك قصتها مع عبد الله بن عمرو فلما ظهر لها انه حافظ لالفاظ النبوية قالت: ((ما أحسبه إلا قد صدق، أراه لم يزد فيه شيئاً ولم ينقص)). (٣٨)

ولذا كان جمع من الجهابذة كانوا يصححون الفاظهم باقرارها، فقد كان أبوهريرة وهو أكثر الصحابة حفظاً للسنة يأتي الى مكان قريب من حجرة السيدة فيحدث ويقول: ((اسمعي يا ربة الحجرة اسمعي ياربة الحجرة)) (٣٩) ومراده كما قال النووي، تقوية الحديث باقرارها ذلك وسكوتهما عليه. (٤٠)

٣ : أنها فقيهة ومجتهدة الأمة

تعد السيدة عائشة رضي الله عنها من أكثر الصحابة تفقهاً وتعلماً، ولقد كانت من المجتهدات ، وكما مر معنا بأن الأكابر ممن صحبوا اباقاسم ياتونها للفتيا، ويسألونها فتجيبهم وقد ذكر القاسم أن عائشة زوجة النبي قد كانت تفتي من خلافة الصديق إلى أن احترمتها المنية.(٤١) ولها باع كبير في استنتاج الاحكام كما قال أبو سلمة بن عبدالرحمن: "مارأيت احداً أعلم بسنن رسول الله ولا أفقه في رأي أن احتيج إليه، ولا أعلم بأية فيما نزلت، ولا فريضة من عائشة"(٤٢) فكانت السيدة عائشة إذا استفهمت عن قضية من القضايا لفتت الانظار الي المصدرين القران والحكمة والا اجتهدت في استنباط القضية مستندة في ذلك إلى الكتاب والسنة. فقد ثبت أنها استنبطت منع التبتل والانقطاع عن الزواج إلى العبادة، لما دخل عليها سعد بن هشام فقال: اني سائلك عن التبتل فما يظهرلك فيه؟ قالت: فلا تفعل، أما سمعت الله يقول ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ (٤٣). (٤٤)

وتأمل كيف استدلت على تحريم زواج المتعة، قال ابن أبي مليكة: كانت عائشة إذا سألها احد عن متعة النساء قالت: بينهم و بيني كتاب الله ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ. إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ. فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ (٤٥) وغير ذلك من الأمثلة الكثيرة الدالة على استنباطها وفقهاها ، الموجودة في كتب الأحاديث .

المبحث الرابع: منهج السيدة عائشة الأصولي من خلال اجتهاداتها واستنباطاتها

يعد العلماء أصول الفقه من العلوم الأساسية للمجتهد، فيشترطون للمجتهد أن يكون عارفاً بمدارك الأحكام الشرعية وأقسامها ووجوه دلائلها على مدلولاتها والشروط المعبرة فيها وكيفية استنباط الأحكام منها على ما هو مفصل في كتب الأصول. والسؤال هنا: هل كان هذا العلم موجودا عند السيدة عائشة رضي الله عنها والصحابة المجتهدين عموماً؟

الجواب أقول: إن أصول الفقه كعلم واستنباط كان ملكة عند الصحابة بحكم معاشتهم للرسول ﷺ، غاية ما هناك أنه لم تكن أصول الفقه بالمسميات المستحدثة عند أصحاب علم الأصول، وكانوا رُؤسًا يستعملون تلك الأصول والقواعد في اجتهاداتهم واستنباطاتهم، منهم السيدة عائشة وذكرْتُ فيما سبق أنها رضي الله عنها كانت أكثر الصحابة الذين اختارهم الله لرسوله ﷺ ملازمة وصحبة وقرباً للمصطفى ﷺ، وكانت تسمع منه ما لا يسمعه غيرها وترى من أحواله ما لا يراه غيرها وتفهم منه ما لا يفهم غيرها، فالأمور الشرعية التي اجتهدت فيها، كانت على أسس أصولية، وقواعد اجمالية، فكانت رُؤسًا تسلك في استدلالها بالقرآن الكريم طرقاً كثيرة متنوعة، منها الظاهر، والمؤول، والمحكم، والمنطوق، والمفهوم، والعموم، والخصوص، والتعليل، والنسخ، والقياس وغيرها. (٤٦)

وفي هذا السياق الأصولي سنتعرض بشيء من التفصيل لبعض هذه الأمور الشرعية كما يلي:

أولاً: أخذها - رُؤسًا - بظاهر الآيات والأحاديث :

إذا كانت الآية ظاهرة الدلالة، لا تحتل التأويل، أو التوقف عن الأخذ بها، فإن السيدة عائشة رُؤسًا لا تلتفت، إلى غيرها من الأدلة بل تأخذ بها دليلاً لرأيها الفقهي، وهذا كثير عندها، ومن أمثلة ذلك: إنها ترى إن السعي بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج والعمرة، لقوله تعالى ﴿إِنَّ الصَّغَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ (٤٧).

وهناك آيات متفرقة في القرآن الكريم لا تعطى بمفردها حكماً مستقلاً، ولكن إذا جمع بعضها الى بعض اعطت حكماً ظاهراً، والسيدة عائشة رُؤسًا تجمع مثل هذه الآيات بعضها الى بعض لتأخذ الحكم الشرعي المراد منها، ومن أمثلة ذلك: أنها ترى وجوب مهر المثل لليتيمة إذا تزوجها من هي تحت كفالته وولايته؛ وهذا الحكم دلت عليه الآيات التالية: قال تعالى ﴿وَإِنْ حِفْظُكُمْ أَلَّا تُفْسِدُوا فِي

الْيَتَامَى فَاذْكُرُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴿٤٨﴾. وقال تعالى ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ الْأَلْيَاتِ لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْعَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ ﴿٤٩﴾ وقد مر تفصيل ذلك.

ثانيا : أخذها - ﷺ - بعموم الآيات والأحاديث

إذا دلت اية بعمومها على حكم من الاحكام، ولم يرد ما يخرج من هذا العموم شيئا فان السيدة عائشة تأخذ بحكم العموم من أمثلة ذلك أنها تري وجوب السكني والانفاق للبائن المطلقة الي نهاية المدة المعتادة، أخذاً بعموم قوله تعالى ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ﴿٥٠﴾ (٥١)

ثالثا : أخذها - رضي الله عمها - بمفهوم الآيات والأحاديث

إن السيدة عائشة ﷺ لا تقف أمام ألفاظ الآيات للأخذ بما تدل عليه من الأحكام، بل إنها تتعمق في تلك الآيات لأن الآيات لها مفهوم تدل عليه كما أن لها منطوقا، فتأخذ بالمفهوم كما تأخذ بالمنطوق.

من ذلك أنها تري أن الإنسان لا يؤاخذ بذنب غيره في الدنيا والآخرة، فولد الزنا يجوز أمامته في الصلاة لديها، وأنه يعتمق في الكفارات، مستدلة بقوله تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴿٥٢﴾ معللة ذلك بقولها ﷺ "ليس عليه من خطيئة أبويه شيء". (٥٣)

رابعا : أخذها ﷺ بالتأويل والتعليل

قد يحتاج الحكم المأخوذ من بعض الآيات إلى تعليل ذلك الحكم، وذلك لعدم ظهور الدلالة عليه في الآيات. من ذلك أنها تري أن الرجل إذا آلى من زوجته أنها لا تطلق بعد انقضاء مدة الايلاء، بل لا بد من أن يوقف حتي يطلق، وتعلل ذلك بأن الله تعالى قال ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴿٥٤﴾

خامسا : أخذها رضي الله عنها بالقياس (ان صح التعبير)

كانت السيدة عائشة رضي الله عنها إن لم تجد الحكم في القرآن والسنة تلجأ إلى القياس. ومن أمثلة ذلك: قياسها صوت الخلخال علي الجرس الذي نص الرسول ﷺ على تحريمه، فقد رويت أن جارية دخلت عليها، وفي رجلها جلاجل من الخلخال، فقالت: السيدة عائشة: ((أَخْرِجُوا عَنِّي مُفَرَّقَةَ الْمَلَأَمِكَةِ))^(٥٥) حيث قاست صوت الخلخال علي صوت الجرس، فكما أن الجرس لا يجوز لقول الرسول ﷺ ((وَلَا تَدْخُلُ الْمَلَأَمِكَةُ بَيْتًا فِيهِ جَرَسٌ))^(٥٦) حيث إن كلاً من الخلخال صوت والجرس له صوت، ولذلك منعت السيدة عائشة الجارية التي كانت تلبس خلخالاً عن الدخول عليها، لأن الخلخال صوت يمنع دخول الملائكة. وبهذه النبذة المنتقاة يكون قد وضحنا منهج السيدة عائشة رضي الله عنها الأصولي، وكيف أنها تستعمل قواعد الأصول في استنباطاتها واجتهاداتها.

خلاصة البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد: فأود أن أختصر بحثي هذا في نقاط بحيث يسهل الوصول الي أهم محتوى البحث :-
نبذة مختصرة عن نشأة السيدة عائشة رضي الله عنها وفضلها ذاكرا أهم المحطات في حياتها: اسمها، نسبها، طفولتها، ذكائها، زواجها، ذكاؤها، حافظتها، علمها، عملها، ومن الفضائل التي اخصت بها من غير أزواج النبي ﷺ انها أحب النساء الي رسول الله، انها أفضل نساء الأرض، أنّ الله اخصها بقرآن يتلى إلى يوم القيامة وغيرها من الفضائل العظيمة.

ذكرت على وجه الاختصار المجالات التي تظهر فيها تفوقها العلمي: أنها مفسرة كتاب رب العالمين، أنها محدثة وحافظة السنة النبوية. أنها فقيهة ومجتهدة الأمة.

ذكرت منهجها الأصولي من خلال اجتهاداتها واستنباطاتها: أخذها رضي الله عنها بظاهر الآيات والأحاديث، أخذها رضي الله عنها بعموم الآيات والأحاديث، أخذها رضي الله عنها بمفهوم الآيات والأحاديث، أخذها رضي الله عنها بالتأويل والتعليل، أخذها، رضي الله عنها بالقياس.

الخاتمة

بعون الله الواحد الأحد الصمد الذي أتم الرسالات بمحمد بن عبد الله، واختار له صفوة خلقه أصحابه الخيرة عليهم رضوان الله وأتم التسليم وبعد: فقد ظهرت لي أهم النتائج في هذا البحث :

أولاً: أن من عقيدة أهل السنة والجماعة حب الصحابة وأزواج النبي ﷺ.

ثانياً: أن الأحاديث الواردة في هذا البحث تزيد علي خمس وأربعين حديث وهي تبحث قضية مختصرة من حياة السيدة عائشة رضي الله عنها، اما ما يتعلق بمباحث متعلقة بالسيدة عائشة رضي الله عنها فوجدتها دون استقصاء أكثر من اربعمائة حديث.

ثالثاً: أن شخصية السيدة عائشة رضي الله عنها شخصية مظلومة بحيث اتهمت تجاهها اتهامات هي منها براء ولدنا في الكتاب والسنة الشئ الكثير في عدم أحقيتها فينبغي ابراز هذه المعاني الشريفة حول شخصيتها.

رابعاً: (توصية) وجدت أثناء البحث الموضوعات ذات أهمية بالغة منها: العلاقة الحسنة بين عائشة رضي الله عنها وأهل البيت وقد تتواجد الأحاديث والنصوص حول الموضوع مئات من الأحاديث، عرض أهم وأقوى الشبهات حول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، والرد عليها. عرض افتراءات مختلفة وأباطيل لا وجود لها عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وبالله التوفيق

الهوامش والإحالات

- (١) سورة الفتح رقم الآية: ٢٩
- (٢) تفسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، للإمام عبدالرحمن السعدي، دار ابن حزم الاولي ص: ٧٣٩
- (٣) سير اعلام النبلاء: للامام شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي: الطبعة الحادية عشرة، سنة ١٤٢٥هـ، مؤسسة الرسالة بيروت، ص: ١٣/٢
- (٤) مسند الامام احمد بن حنبل: مطبعة المعارف القاهرة مسند عائشة
- (٥) سنن ابي داود، النكاح، باب: تزويج الصغار، رقم الحديث: ٢١٢١، ص: ٤٥٨/٣
- (٦) سنن النسائي، النكاح، باب: التزويج في شوال، رقم الحديث: ٣٢٣٦، ص: ٧٠
- (٧) سير اعلام النبلاء (١٩ / ١٣٥)
- (٨) صحيح مسلم، النكاح، تزويج الاب البكر الصغيرة، الرقم: ١٤٢٢، ص: ١٠٣٨.
- (٩) سنن ابن ماجه، النكاح، حسن معاشره النساء، رقم الحديث: ١٩٨٢، ص: ١٥٠/١٥٠.
- (١٠) سنن ابي داود، النكاح، باب: في اللعب بالبنات، الرقم: ٤٩٣٢، ص: ٢٩٢/٧
- (١١) صحيح البخاري، النكاح، حسن المعاشره مع الاهل، الرقم: ٥١٩٠، ص: ٢٨/٧
- (١٢) صحيح البخاري، النكاح باب: نكاح الابكار، رقم الحديث: ٧٠١٢، ص: ٣٦/٩
- (١٣) سنن الترمذي، ابواب المناقب، فضل عائشة، رقم الحديث: ٣٨٨٠، ص: ٧٠٤/٥
- (١٤) صحيح مسلم، الرضاع، جواز هبتها نوبتها لضررتها، الرقم ١٤٦٣، ص: ١٠٨٥/٢
- (١٥) مسند أبي يعلى للحافظ ابي يعلى احمد بن علي بن المثني التميمي الاولي ١٤٢٢هـ بيروت لبنان - الرقم ٤٦٢٤
- (١٦) صحيح مسلم، فضائل الصحابة، في فضل عائشة، رقم: ٢٤٤٢، ص: ١٨٩١/١٨٩١.
- (١٧) صحيح البخاري، الادب، من دعي صاحبه فنقص من اسمه حرفا، ص: ٤٤/٨
- (١٨) سنن الترمذي، التفسير، ومن سورة المؤمنين، رقم الحديث: ٣١٧٥، ص: ٣٢٧/٥
- (١٩) صحيح مسلم، فضائل الصحابة، في فضل عائشة، رقم: ٢٤٤٢، ص: ١٨٩١/٤
- (٢٠) صحيح البخاري، فضائل الصحابة، باب: فضل عائشة، ص: ٣٤١١، ص: ١٥٨/٤
- (٢١) صحيح مسلم، فضائل الصحابة / باب: من فضائل ابي بكر، الرقم: ٢٣٨٤، ص: ١٨٥٦/٤

- (٢٢) صحيح البخاري، فضائل الصحابة، فضل عائشة، رقم: ٣٧٧٥، ص: ٣٠/٥.
- (٢٣) صحيح البخاري، فضائل الصحابة، فضل عائشة، رقم: ٣٧٦٨، ص: ٢٩/٥.
- (٢٤) صحيح البخاري، النكاح، باب: نكاح الابكار، رقم الحديث: ٥٠٧٧، ص: ٥/٧.
- (٢٥) صحيح البخاري، النكاح، حسن المعاشرة مع الاهل، رقم ٥١٨٩، ص: ٢٧/٧.
- (٢٦) صحيح البخاري، النكاح، غيرة النساء ووجدهن، رقم: ٥٢٢٨، ص: ٣٦/٧.
- (٢٧) صحيح البخاري، النكاح، القرعة بين النساء اذا اراد سفراء، ص: ٣٣/٧.
- (٢٨) صحيح البخاري، المناقب، مرض النبي ووفاته، رقم: ٤٤٥، ص: ١٣/٦.
- (٢٩) سنن الترمذي، ابواب المناقب، فضل عائشة، رقم: ٣٨٨٣، ص: ٧٠٥/٥.
- (٣٠) المستدرک علي الصحيحين للحاكم دار المعرفة بيروت، الاولي، ص: ٤٤٢/٤
- (٣١) المستدرک للحاكم، ص: ١٣/٤
- (٣٢) سورة الانشقاق الاية: ٨ .
- (٣٣) صحيح البخاري، العلم، من سمع شيئاً فلم يعلمه فراجع، ص: ٣٢/١
- (٣٤) سورة القمر: ٤٦
- (٣٥) سورة ابراهيم: ٤٨
- (٣٦) صحيح مسلم، كتاب: صفات المناقب واحكامهم، باب: في البعث، والنشور، وصفة الارض، ص: ١٣٢/٩
- (٣٧) تدريب الراوي في شرح التقريب لابي بكر السيوطي، مكتبة الرياض، ص: ٢٠٥
- (٣٨) صحيح مسلم، كتاب: العلم، باب: رفع العلم وقبضه وظهور الجهل، ص: ٤٣٧/٨
- (٣٩) صحيح مسلم، الزهد والرقاق، باب: التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، ص: ٣٢٩/٩
- (٤٠) المنهاج شرح صحيح مسلم للنووي دارالمعرفة الثالثة بيروت، ص: ٣٢٩/١٨
- (٤١) الطبقات الكبرى لابن سعد دار الفكر، بيروت الاولي، ص: ٣٧٥/٢
- (٤٢) الطبقات الكبرى لابن سعد، ص: ٣٧٥/٢.
- (٤٣) سورة الرعد: ٣٨.
- (٤٤) النسائي، كتاب عشرة النساء، باب النهي عن التبتل، ص: ٢٤٣/٣.
- (٤٥) سورة المؤمنون: ٥ - الى - ٧٣
- (٤٦) موسوعة فقه ام المؤمنين عائشة لمعيد فائز، دار النفائس بيروت، ص: ٥٥٨.

- (٤٧) سورة البقرة : ١٥٨
 (٤٨) سورة النساء: ٣
 (٤٩) سورة النساء: ١٢٧
 (٥٠) سورة الطلاق: ١
 (٥١) سنن الكبرى للبيهقي، ص: ٤٣٢/٧. ومصنف ابن ابي شيبة، ص: ١٤٦/٥
 (٥٢) سورة الانعام : ١٦٤
 (٥٣) مصنف ابن ابي شيبة، ص: ٣٠/٢
 (٥٤) سورة البقرة : ٢٢٩
 (٥٥) المصنف لعبدالرزاق الصنعاني الثانية، المكتب الاسلامي بيروت، ص: ٤٥٩/١٠.
 (٥٦) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة .باب كراهة الكلب في السفر، ص: ٣٢٠/٧.
